النظرية الخليلية الحديثة في النحو العربي
مع البرفسور عبد الرحمن الحاج صالح

د. خالد بوزياني
جامعة الأغواط / الجزائر

تعتبر النظرية الخليلية الحديثة للعالم اللغوي **عبد الرحمن الحاج صالح** من أقوى النظريات اللسانية في الفكر اللغوي المعاصر، وذلك من خلال إعادة صياغة الأشكال النحوية الخليلية والبحث عن القواعد الرياضية المعتمدة عند الخليل بن أحمد.

لماذا الخليل بن أحمد؟

لقد أمعن البرفسور **عبد الرحمن الحاج صالح** النظر مليا في الفترة التي عاش فيها الخليل، فهي مرحلة تبلورت فيها التصورات والأفكار العميقة حول قواعد النحو العربي، واحتدم فيها الصراع الفكري واستعملت كثير من العلوم من أجل الوصول إلى عمق التفكير النحوي. وكان الخليل بن أحمد من أبرز علماء النحو للجوئه إلى الرياضيات لتعليل الظاهرة النحوية.

وقد لاحظ البرفسور **عبد الرحمن الحاج صالح** أن الخليل بن أحمد من العلماء الذين امتازوا بالفطنة والذكاء وذلك اعتمادا على ما جاء في كتب أصحاب الطبقات في وصفهم له «فقد استنبط من العروض ومن علل النحو ما لم يستنبطه أحد ولم يسبق إلى مثله سابق»[1] واهتم بالرواية والمشافهة والقراءة كما درس اللغة ووضع **(معجم العين)**.

إن الملاحظات العميقة التي وقف عليها **الحاج صالح** في فكر الخليل هي التي أرست قواعد النظرية الخليلية ابتداء من معجم العين الذي استخدم الخليل في وضعه طريقتين:

1- الزبيدي/ طبقات النحويين واللغويين، دار المعارف المصرية- .1973ص47.

الأولى: طريقة صوتية حيث أن ترتيب الكلمات فيه على حسب مخارج الأصوات.

الثانية: طريقة رياضية أي بضرب الجذر الثلاثي في (6 = (1X2X3 فيعطيه ستة أوجه يدخل الألفاظ المستعملة ويخرج الألفاظ المهملة في الاستعمال ومثال ذلك: الجذر: كتب **Write**

كتب
كبت
تبك
تكب
بكت
بتك

ولهذا السبب توصل الخليل إلى فكرة مفادها أنه لابد من استخدام الرياضيات في التحليل النحوي، وقد تتبع **عبد الرحمن الحاج صالح** تطبيق الخليل لبعض المفاهيم الرياضية كمفهوم الزمرة **GROUP** ومفهوم العاملي **FACTORIAL** وقسمة التراكيب **COMBINATORIAL** فاستنبط ذلك بالأدلة وبنى عليها أفكاره من خلال الوصف النقدي الذي يمكن تسميته بنظرية ثانية **METATHEORY** بالنسبة للنظرية الخليلية[1].

وسأقتصر في هذا البحث على بعض المفاهيم للنظرية الخليلية من منظور الأستاذ **عبد الرحمن الحاج صالح** وهي كما يلي:

1 - مفهوم الاستقامة

2 - مفهوم الانفراد وحدّ اللفظة

3 -الموضع والعلامة العدمية ومفهوم اللفظة

4 - مفهوم العامل

1- **عبد الرحمن الحاج صالح**، النظرية الخليلية الحديثة، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، الجزائر 2007، ص 42.

1. مفهوم الاستقامة:

يستوقفنا في هذا المقام اهتمام **سيبويه** على إثر الخليل بهذه القضية وهو أول من ميز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ المستقيم الحسن أو القبيح، والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم / المحال، وإدراكه بعمق لأهمية التركيب وعلاقته بالمعنى عندما قام بتصنيف الأنماط الكلامية إلى تقسيم خماسي حسب ما يلي[1]:

1 - المستقيم الحسن مثل: **أتيتك أمس وسآتيك غدا**

2 -المحال وهو أن تنقض أول كلامك بآخره مثل: **أتيتك غدا وسآتيك أمس**

3 -المستقيم الكذب مثل: **حملت الجبل وشربت ماء البحر**

4 -المستقيم القبيح وهو أن تضع اللفظ في غير موضعه كقولنا: **قد زيد رأيت وكي زيدا يأتيك.**

5 -المحال الكذب سوف أشرب ماء البحر

النمط الأول: يحقق النحوية وشروط الصدق.

النمط الثاني: هنا لا يوجد أي خرق على المستوى التركيبي إذ إن الجملة مكونة من: فعل + فاعل + مفعول به + ظرف، غير أن الخرق موجود على مستوى البنية الدلالية للجملة في عدم وجود علاقة منطقية بين الفعل الماضي والظرف الاستقبالي.

النمط الثالث: لا ينتهك معيار النحوية على مستوى البنية التركيبية للجملة وتوزيع الرتب النحوية فيها ولكن يخرق معيار الصدق أو ما يطلق عليه (كوهن) اللامنطقية[2].

النمط الرابع: وهو يخرق مبدأ السلامة النحوية على مستوى التركيب وتوزيع الرتب النحوية وليس مستوى الدلالة.

النمط الخامس: وينطبق عليه ما ينطبق على النمط الثاني والثالث.[3]

---

1. سيبويه الكتاب الطبعة الأولى تحقيق عبد السلام هارون دار الجيل – بيروت الجزء الأول ص 25

2. ينظر جان كوهن، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد الولي ومحمد العمري ط1 دار تبقال للنشر الدار البيضاء المغرب 1986 ص 102.

3. وينظر أيضا طارق النعمان، مفاهيم المجاز بين البلاغة والتفكيك، الطبعة الأولى ميريت للنشر والمعلومات القاهرة 2003 ص24.

يقول **عبد الرحمن الحاج صالح**: «**فسيبويه** على إثر الخليل هو أول من ميز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ المستقيم الحسن أو القبيح، والسلامة الخاصة بالمعنى: المستقيم / المحال، ثم ميز أيضا بين السلامة التي يقتضيها القياس (النظام العام الذي يميز لغة من لغة أخرى) والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين (وهذا معنى الاستحسان وهو استحسان الناطقين أنفسهم): مستقيم / حسن، فعلى هذا يكون التمييز بهذه الكيفية:

. مستقيم / حسن: سليم في القياس والاستعمال.

. مستقيم / قبيح: خارج عن القياس وقليل في الاستعمال وهو غير لحن.

. محال: قد يكون سليما في القياس والاستعمال لكنه غير سليم من حيث المعنى.»[1]

وعلى هذا الأساس طرح **سيبويه** قضية ذات أهمية كبيرة تتمحور حول مفهوم السلامة النحوية ، وهو مفهوم عميق يحيلنا إلى إمكانية وجود تراكيب لا تلتزم بمنطقية اللغة بخرقها للمعيار عن طريق الانزياحات الكامنة وراء التعابير الاستعارية الذي يمدنا به التشكيل الخيالي والنشاط التصويري المعقد.

وهكذا انتقلت فكرة مبدأ السلامة النحوية إلى الفكر اللساني المعاصر عن طريق سياق ابستيمولوجي يرتكز على مدى ما توصل إليه علماء اللغة ودارسي الخطاب بصفة عامة وطرح قضية النحوية كمبدأ أساسي لمفهوم السلامة النحوية أي ما يجعل من خطاب ما نحويا أو غير نحوي .

إن هذا التقسيم يراعي مسألة التنافر بين الدوال ومدلولاتها، وهي التي تكون على مستوى خرق قانون اللغة كما نلاحظ في الجملة: الشجرة تهمس فهذه الجملة ليست نحوية إلا في مستواها العام أي في المستوى التركيبي فهي مطابقة للصياغة التركيبية التالية:

ج - إ + ج ف أما من حيث الدلالة فهي غير صحيحة وهذا ما يدعوه تشو مسكي بدرجات النحوية.[2]

1. **عبد الرحمن الحاج صالح** ، النظرية الخليلية الحديثة ص 30

2. المرجع السابق، ص104.

2 . مفهوم الانفراد وحدّ اللفظة:

لقد كان المنطلق عند النحاة العرب ما ينفصل ويبتدئ أي الانطلاق بأقل ما ينطق به وهذا ما يسمى بالنواة أي الاسم المفرد وترجمها **عبد الرحمن الحاج صالح** إلى LEXIE . فقد تدخل على النواة زوائد على اليمين أو على اليسار أو عليهما معا كما في هذا الأنموذج الذي يمثل حد الاسم:

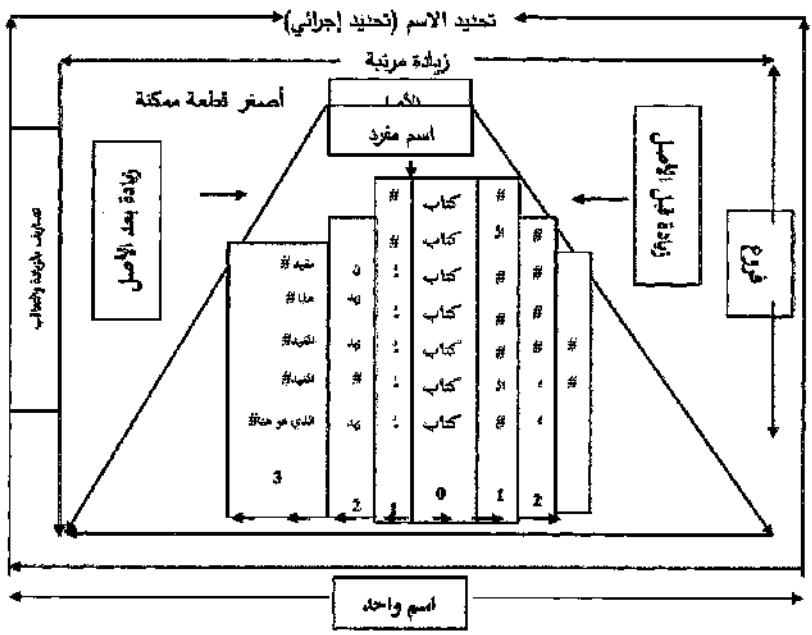

نلاحظ في هذا الأنموذج أن الأصل هو لفظة كتاب وتتفرع عليه العبارات الأخرى التي هي مكافئة لها أي بمنزلتها من حيث الانفصال والابتداء (الانفراد) بإلحاقها بالزوائد وهي أداة التعريف (أل) وحرف الجر(ب) على اليمين وعلى اليسار الإعراب والتوين إذا لم تدخل أداة التعريف أو المضاف إليه ثم الصفة.

إن الزيادة على الأصل هي نوع من التحويل»فالاسم المفرد وما بمنزلته هو وحدة يحدها هذا التحديد الإجرائي (تحديد فيه عمليات تحويلية) وتتحدد في الوقت نفسه كل المكونات التي تتألف منها هذه الوحدة وسموها لفظة فلكل

جزء من اللفظة موضع خاص، فأداة التعريف لا تظهر إلا في الوضع الأول على يمين الأصل وبعدها حرف الجر. فالوظيفة النحوية تحدد لنا بكيفية صورية، ثم إن الوضع لا يلتبس بما يمكن أن يكون فيه الوضع. فالموضع باق كجزء من البنية إذا ما خلا مما يدخل فيه».[1]

البنية السيميو-نحوية للعنصر التركيبي: Sémiologico-grammatical structure of the syntactic unit

فيما يخص المستوى الأعلى بالنسبة للفظة يلاحظ **عبد الرحمن الحاج صالح** أن العناصر التي تتألف لا تشكل في حقيقة الأمر تركيبا بسيطا، إن أبسط الجمل تتكون من عنصرين مثل : زيد منطلق فيحملون عليها جملة أخرى تكون فيها زيادة بالنسبة إلى الجملة البسيطة، فتظهر بذلك كيفية تحول هذه النواة بالزوائد، ويستخلص **عبد الرحمن الحاج صالح** مقارنة بنوية أساسها ما يسمى في الرياضيات الحديثة بالتطبيق وهو هنا تطبيق مجموعة على مجموعات أخرى بالتناظر كما هو في هذا المثال[2]:

1	=	0	عبد الله	قائمٌ	=
2	=	إن	عبدِ الله	قائمٌ	=
3	=	كان	عبدِ الله	قائماً	=

إن المكان الذي تظهر فيه الزوائد يقابله في الجملة البسيطة مكان فارغ يسمى ابتداء، ومن هذه الفكرة استطاع **عبد الرحمن الحاج صالح** أن يتوصل إلى تصور مفاده أن **سيبويه** قد أشار إلى العنصر الأول الذي شغل به الفعل مثل: **عبد الله في - عبد الله ماكث** يرتفع بالابتداء كما ارتفع بالفعل حين نقول: كم رجلا ضرب عبد الله.

1. **عبد الرحمن الحاج صالح** النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، ص75

29. **عبد الرحمن الحاج صالح** ، بحوث ودراسات لسانية: موفم للنشر، الجزائر 2007، ص85

الموضع والعلامة العدمية ومفهوم اللفظة:

يرى **عبد الرحمن الحاج صالح** أن المواضع التي تحتلها الكلم هي في حقيقة الأمر ما هي إلا خانات تحدد بالتحويلات والتعريفات عن طريق الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزيادة التدريجية.[1]

وهنا يحدد **عبد الرحمن الحاج صالح** مفهوما أساسيا في النظرية الخليلية الحديثة ألا وهو التحويل أو ما يسمى بالأصل والفرع فقد يكون العنصر الواحد فرعا لأصل وأصل لعنصر آخر، فاللغة عند النحاة مراتب وبعض الفئات من عناصرها وتراكيبها أسبق من بعض.[2]

والملاحظة الجديرة بالذكر هنا أن البرفسور عبد الرحمان **الحاج صالح** بحث أولا في مفهوم الأصل والفرع عند **سيبويه** وجعله منطلقا أساسيا لما يطلق عليه بالتفريع يقول في ذلك:»فإذا تأملنا الأصول التي ذكرها وفروعها لاحظنا أن الأصل هو العنصر الذي يُؤخَذ منه عنصر آخر بزيادة علامة تحوله إلى وجدة أخرى وتكون بذلك فرعا على الأول. فهذا التفريع يتم دائما بهذه العملية: فكل من المؤنث والجمع والمعرفة فلفظه مأخوذ من أصله الذي هو المذكر والمفرد والنكرة. فالأسبقية ههنا هي في جميع هذه الأحوال بسبب تفريع شيء من أصل ليس غير. والأصل ههنا هو أشد تمكنا أي أقوى، كما لقول النحاة، لأن الأصول، بهذا المعنى تقوى دائما على تحمل الزوائد أكثر من فروعها لأنها عارية منها وهي المنطلق للزيادة التفريعية.»[3]

وهذا هو الأساس نفسه الذي ارتكز عليه في مفهوم الوضع والعلامة العدمية، فالزيادة التفريعية باصطلاح الرياضيات هي ما يظهر بالتفريع في داخل المثال المولّد للفظة التي هي عبارات متكافئة بغض النظر عن طولها أو قصرها، وهذا ما يطلق عليه عبد الرحمان **الحاج صالح** بالمقابلة بالنظير،

- 1 **عبد الرحمن الحاج صالح**، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، ص35.

- 2 **عبد الرحمن الحاج صالح**، منطق العرب في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ص140 /2009.

- 3 المرجع نفسه ص 140.

(Bijection=mise en correspondance biunivoque)، وعليه يتحدد موضع كل عنصر في داخل المثال، يقول عبد الرحمان **الحاج صالح**:»ولا بد من الإشارة أن المواضع التي هي حول النواة قد تكون فارغة لأن الموضع شيء وما يحتوي عليه هو شيء آخر (وهذه مفاهيم رياضية محضة وهي أهم صفة يتصف بها التحويل الخليلي).[1]

ماذا يقصد عبد الرحمان الحاج صالح بالعلامة العدمية expres-sion zéro؟

وهو خلو الموضع أو الخلو من العلامة أو تركها، بعبارة أخرى هي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر، وتشمل كل العلامات التي تميز الفروع عن أصولها، ويعطينا عبد الرحمان **الحاج صالح** بعض الأمثلة عن ذلك (المفرد - الذكر – المُكبَّر) وذلك بالنسبة (للجمع – المثنى – المؤنث المصغّر)، ويشير إلى أن هذا المفهوم يجب أن يكون مرتبطا بالوضع في داخل بنية معينة ذات عرض وطول بمعنى آخر لا بد أن يكون متواجدا في البنية التي سميت بالمثال (schème générateur).[2]

مفهوم العامل:

تشكل نظرية العوامل وفكرة الأصول والفروع العمود الفقري للقياس النحوي عند الخليل، وهذا يعكس اهتمامه بالتعليل وهيمنة النزعة العقلية على قياسه إضافة إلى اصطناع القياس.

ولقد توصل الأستاذ **عبد الرحمن الحاج صالح** إلى أن اللفظة ليست الوحدة الصغرى التي يتركب منها مستوى التراكيب (niveau syntaxique) وذلك لأن هذا المستوى وحدات أخرى من جنس آخر أكثر تجريدا. وهنا انطلق النحاة من العمليات الحملية أو الإجرائية،عبر حملهم أقل الكلام مما هو أكثر من لفظة باتخاذ ابسطه وتحويله بالزيادة مع بقاء النواة، وذلك عندما

-1 **عبد الرحمن الحاج صالح**، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، ص35.

2- ينظر **عبد الرحمن الحاج صالح**، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، ص 36.

لاحظوا الزوائد على اليمين تغير اللفظة والمعنى، وعلى هذا الأساس تحصلوا على مثال تحويلي يتكون من أعمدة وسطور مثل:

0	زيدٌ	قائمٌ
	إن	زيداً	قائمٌ
	كان	زيد	قائماً
	حسبت	زيداً	قائماً
	أعلمت عمرا	زيداً	قائما
1	2	3

إن هذه التراكيب محمولة بعضها على بعض فهي على هذا الشكل متكافئة من حيث أنها تتضمن نواة واحدة وهي الأصل ثم تتفرع عليها بعملية تحويلية الزوائد، فهذه الزوائد تؤثر في الوحدة التركيبية تأثيرا لفظيا ودلاليا على ما تدخل عليه باختلاف الإعراب فيما يخص اللفظ ومعان زائدة لم تكن في النواة، ولهذا السبب اعتبروا الزيادة المؤثرة عاملا وما تؤثر فيه معمولا.

وقد لاحظ **عبد الرحمن الحاج صالح** ما توصل إليه الخليل **وسيبويه** حينما ركزا على مبدأ هام جدا وهو أن أحد المعمولين لا يمكن بحال من الأحوال أن يتقدم على عامله وهو الذي لا يستغني عته العامل فسموه العامل الأول، وعلى هذا الأساس يكوّن العامل مع هذا المعمول زوجا مرتبا على حد تعبير الرياضيين[1]. وهذه بعض الصياغات التي توصل إليها **عبد الرحمن الحاج صالح** في مقاربته النظرية على نظرية العامل:

1. **عبد الرحمن الحاج صالح** ، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية ص80

The concept of Al ' amil le (régissant)

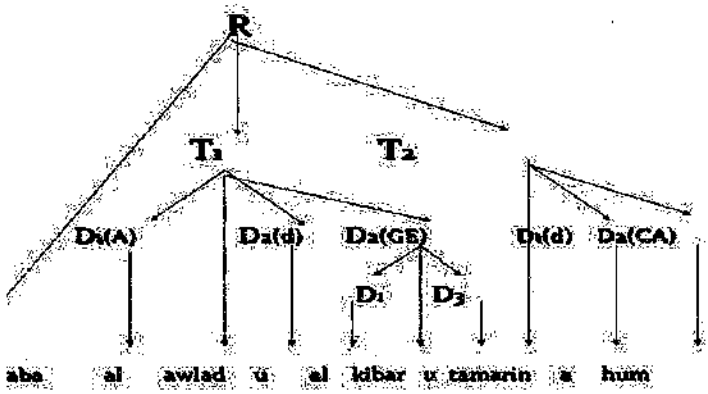

R (régissant synt.)

T1 (terme régi en 1er)
T2 (terme régi en 2ème)

	R	T1	T2
=	daraba	Zaydun	Aman
=	duriba	Amrun	=

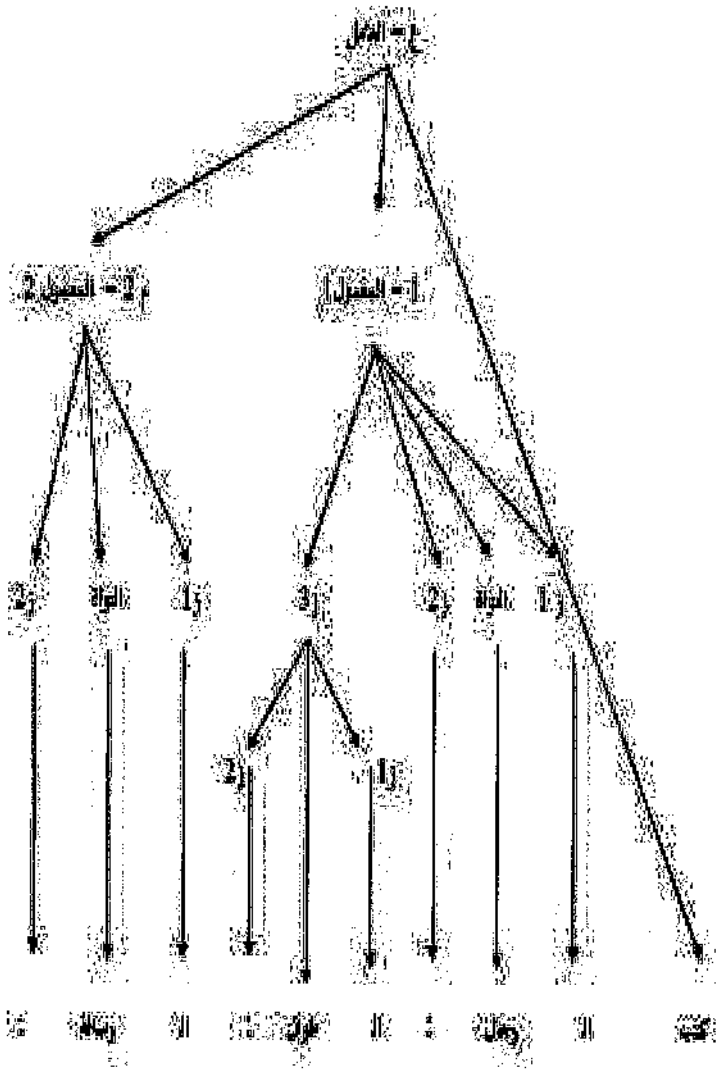

إن هذا الأنموذج يبن العامل الذي يتفرع بدوره إلى المعمول الأول والمعمول الثاني ولكل معمول نواة تتشكل من زيادات على اليمين وزيادات على اليسار، فالعامل هو الفعل : كتب أما المعمول الأول فهو الرجال وهذا المعمول يتوفر على ثلاث زيادات زيادة قبل النواة وزيادة بعد النواة وزيادة ثالثة تحتوي هي الأخرى على زيادتين كما هو في هذا الجدول:

العامل ع	المعمول الأول م1		المعمول الثاني م2
	الرجال	الطوال	الرسالة

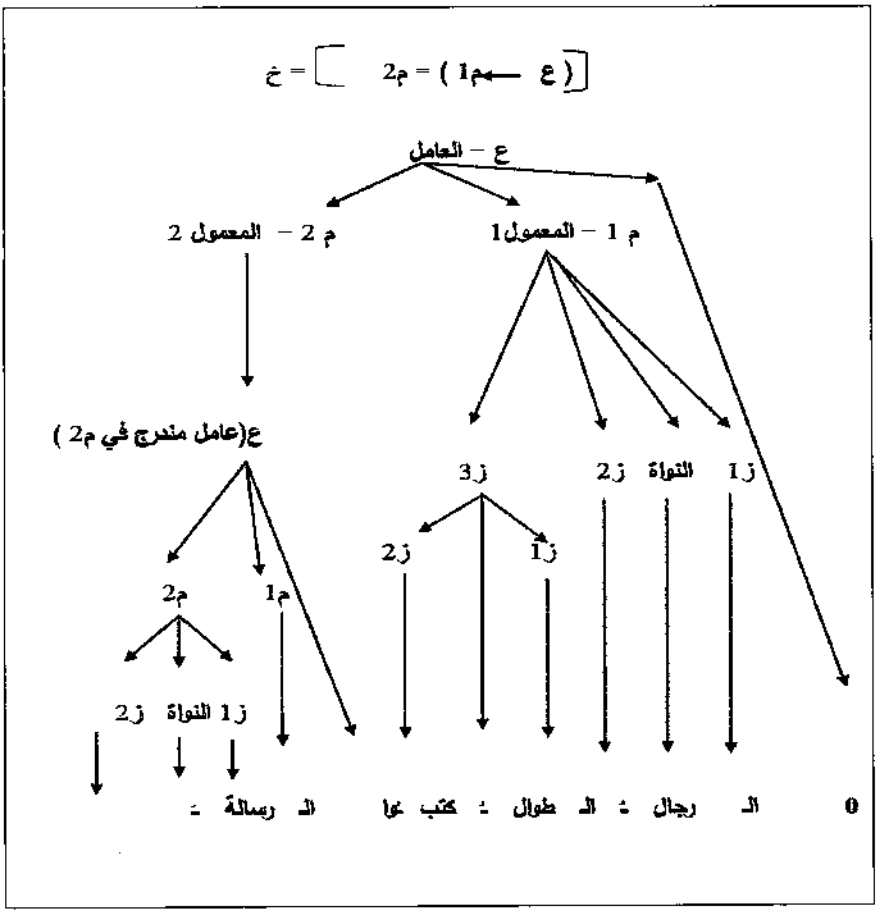

خلاصة:

لقد قدم **عبد الرحمن الحاج صالح** مقاربة تحليلية في العلاقة التي توجد في نظرية العامل العربية والنظرية الغربية المسماة بالتبعية النحوية **Grammar Dependency** يقول **الحاج صالح**:"إن النظريتين تتفقان في تجاوزهما للتحليل التقطيعي البسيط المؤدي إلى تحديد المكونات باندراجها بعضها في بعض وقد حاول (كروس) أن يبين أن التبعية النحوية مماثلة للتفكيك إلى مكونات في قدرة التوليد وهذا تعسف لأن نظرية التبعية تبين بوضوح العلاقة غير الاندماجية التي توجد بين الوحدات، أما نظرية المكونات فلا تستطيع ذلك إلا بعد صياغتها في أشجاروتأويلات ملتوية وناقصة.[1]

من هنا نفهم لماذا اختار البرفسور **عبد الرحمن الحاج صالح** الفكر النحوي عند الخليل بن أحمد، فجميع التصورات والأفكار والطروحات النحوية التي تجمعت عند **عبد الرحمن الحاج صالح** هي التي ساعدته في إعادة صياغة فكر الخليل بن أحمد في نظرية حديثة هي من أكبر النظريات التي عرفها النحو العربي إلى أيامنا هذه.

1 -ينظر **عبد الرحمن الحاج صالح**، النظرية الخليلية الحديثة، مفاهيمها الأساسية، ص 83.

المراجع:

1 - الزبيدي/ طبقات النحويين واللغويين دار المعارف المصرية .-القاهرة، 1973.

2 - سيبويه/ الكتاب الطبعة الأولى تحقيق عبد السلام هارون دار الجيل. - بيروت الجزء الأول.

3 - طارق النعمان/ مفاهيم المجاز بين البلاغة والتفكيك الطبعة الأولى، ميريت للنشر والمعلومات .-القاهرة، 2003.

4 - عبد الرحمن الحاج صالح/ النظرية الخليلية الحديثة ومفاهيمها الأساسية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية.-الجزائر، 2007.

6 - عبد الرحمن الحاج صالح/ بحوث ودراسات لسانية ، موفم للنشر.- الجزائر، 2007

7 - كوهن جان، بنية اللغة الشعرية ترجمة محمد الولي و محمد العمري/ ط.1، دار تبقال للنشر.- الدار البيضاء المغرب، 1986.